رواية هسيس الملائكة في ضوء نظرية العوالم الممكنة – دراسة نقدية

Hasisu al-malaekah in the light of the theory of the possible worlds - A critical study

د. أحمد نتوف

كليّة الآداب. جامعة قطر. قطر.

المرسل : nattofahmad@qu.edu.qa

الإرسال: 27 /06/ 2020 تاريخ القبول 2020/07/05 تاريخ النشر 06 نوفمبر 2020

E . ISSN : 506-2602X
ISSN : 2335 - 1969
الصفحة من : 175 إلى 193

الملخص :

تعدّ نظرية العوالم الممكنة إحدى النظريات التي يمكن من خلالها مقاربة النصوص السردية؛ فهي تبحث في فضاء السرد عن مكونات العالم الفعلي النصي، وعن العوالم الممكنة للشخصيات الساكنة فيه، فتحدد الجهة التي تخضع لها هذه الشخصيات، وتبحث في رغباتها وأمنياتها التي تسعى إلى تحقيقها من خلال الصراع مع عالمها الفعلي النصي، وتبين آليات بناء هذه العوالم، فتلقي الضوء على الراوي وتقنيات السرد، وتعقب هذا مرحلة التأويل، وهي بلا شك بعيدة عن المألوف في تحليل العمل الروائي، لأن أدواتها مختلفة ومنطلقاتها كذلك. وتعدّ رواية هسيس الملائكة التي تسرد أحداثًا جرت في سورية خلال المدة الأخيرة ميدانًا تطبيقيًّا يظهر مدى نجاح هذه النظرية في كشف العوالم الممكنة ومدى ثرائها في الرواية.

الكلمات المفتاحية:

العوالم الممكنة، السرد، المقاطع السردية، الأعمال السردية، الراوي، الجهة، الصدقية، الإلزامية، القيمية، الشخصيات، الاستطراد، الاسترجاع.

Abstract:

The theory of possible worlds is one of the theories through which narrative texts can be approached. It looks in the narrative space for the components of the actual textual world, and the possible worlds of the characters inhabiting it. It determines who are these characters subject to, and examines the desires and wishes that they seek to achieve through conflict with their actual textual world, and shows the mechanisms of building these worlds, highlighting the narrator and the narrative techniques. This is followed by the stage of interpretation, which is undoubtedly far from the usual in the analysis of the narrative work because their tools are different and their origins are so. (HASEESU ALMALAIKAH): Susurration of Angels, which recounts events in Syria during the recent period, is a practical field that shows the success of this theory in revealing the possible worlds and how rich they are in the novel, so what is this theory in short? What are the mechanisms for analysing fiction in its light ?

Keywords:

Possible worlds, narratives, narrative units, narrative works, narrator, modality, alethic, deontic, axiological, characters, digress, retrieval

مقدمة عن نظرية العوالم الممكنة1:

نشأت نظرية العوالم الممكنة (*possible worlds*) في بيئة فلسفية، ثم نفذت إلى حقول معرفية وإنسانية مختلفة، ومنها إلى نظرية الأدب، وهذه النظرية تقول باختصار: إن هناك عوالم محيطة بعالمنا الذي نعيش فيه[2]، وثمة اختلاف في تحديد مصدر هذه العوالم وكينونتها والطريقة التي تأسّست بها وطرائق النفاذ إليها ثم تأويلها؛ والعوالم الممكنة في الفلسفة تتعلّق بالإله؛ فلايبنتز يرى ((أن العوالم الممكنة هي مجموعة أفكار كانت في [عقل الإله] ثم أصبح واحد منها فقط عالمًا فعليًا(Actual)، وهو عالمنا الذي نعيش فيه ونطلق عليه الواقع(Reality)))[3]، أما مناطقة القرن العشرين فقد أنزلوا هذا المفهوم المجرّد للعوالم الممكنة وجعلوه من نتاج عقل الإنسان؛ فالعوالم الممكنة هي ((كل ما يمكن أن نفكّر فيه ونعتقده ونرغب فيه ونتمنّاه ونتخيّله ونفترضه))[4]. وما يجعل هذه العوالم ممكنة هو كونها تحترم قانون عدم التناقض وقانون الثالث المرفوع، وهي ذات القوانين المنطقيّة الضابطة لعالمنا الفعلي الذي نعيش فيه. إنّ الاعتراف بهذه العوالم الممكنة جعل المناطقة يعيدون سؤال الصّدق في الإحالة[5]، وتوصّلوا إلى أنّ القضايا يمكن أن تكون صادقة في الممكن، من مثل: بالإمكان أن أمتلك سيارة. وبهذا تحوّل الحكم على القضايا من ثنائية (قضية صادقة أو قضيةكاذبة) إلى قضيّة ضرورية متى كانت صادقة في جميع العوالم، أو ممكنة ويكفي أن تكون صادقة في عالم ممكن واحد، أو مستحيلة متى كانت كاذبة في كل العوالم. وتسمى هذه الجهة(modality) التي نحكم بها على قضايا العالم بجهة الصّدقيّة.

ويعدّ التخييل (fiction) أحد العوالم الممكنة التي يُنتجها عقل الإنسان، وهو يقتضي أن تكون في العالم القصصيّ كائنات يمكن أن توجد في العالم الفعلي كما يقتضي أن تكون الأعمال التي تقوم بها الشخصيات تنتظم ضمن منطق شبيه بعالمنا الفعلي، وقد تخرق هذه الشخصيات القوانين المنطقيّة فيكون العالم عالـمًا مستحيلًا.[6] وبحسب (ريان) يتكوّن العالم القصصيّ من عالم فعلي نصّي، وعوالم ممكنة تحيط به تكون ناتجة ((من عقول الشخصيات بفعل أحلامها و(رغباتها) وأمنياتها، وتُكوِّن في مجملها كونًا سرديًا))[7]. ويكون للعالم الممكن التخييلي عادة أكثر من جهة تحكمه، فبجانب جهة الصدقيّة التي تحدّد درجة إمكان العالم التخييليّ من عالمنا الفعلي توجد جهات أخرى متعلّقة بأفعال الشّخصيات. وهي ثلاث جهات رئيسة: جهة الإلزام التي نعبّر بها عن الأحكام المتعلقة بما هو واجب أو محظور أو مباح، وجهة التقويم وترتبط بما هو جيد أو سيئ أو غير مبال، وجهة المعرفة تتصل بمعيار الجهل والمعرفة والاعتقاد[8].

وبهذا يكون التخييل عالماً ممكناً من العوالم التي ينتجها عقل الإنسان، والفرق بين العالم الممكن التخييلي والعالم الفعلي الواقعي بحسب (رونن) أنّ الأوّل يتّسم بالنقص من جهتين: أنطولوجيًا، ودلاليًا، وذلك لأنّ اللغة قاصرة عن نقل كلّ محتويات العالم التخييلي والعلاقات بين ساكنيه.

ومقاربة الرواية في ضوء نظرية العوالم الممكنة التخييلية تمنح الناقد الأدبي رؤية مختلفة للأعمال الروائية بعيداً عن المناهج الشائعة؛ لأنها تفتح الباب على ثراء فكري متنوّع، فأغلب النظريات السرديّة المعروفة تدرس السرد من زاويتين وهما الخطاب والحكاية، أمّا نظرية العوالم الممكنة فهي تنطلق من العالم الذي يسبق الحكاية؛ فكيف يمكن تمثّل ذلك تطبيقيًا في رواية هسيس الملائكة؟ وما مكوّنات العالم الفعلي للرواية؟ وما الجهة الضابطة له؟ وما درجة إمكانه من عالمنا الفعليّ؟ وما مدى ثرائه بالعوالم الممكنة؟

مكونات النص السردي:

ألفت رواية هسيس الملائكة للروائي لؤي الخليل في 2007[9]، وطبعت عام 2014، وهي تحكي قصة قرية في ريف الساحل السوري كان سكانها يرفضون واقعهم، ولذلك اتفق أن دعا كلّ واحد منهم أن يحدث تغيير ما، ويكون هذا التغيير هو المخلّص له من واقعه المؤلم الذي يعيشه، وبالفعل يحدث التغيير، ولكنّ يندم طالبوه، فيبحثون عن وسيلة للبقاء على قيد الحياة والخروج من المشكلة التي أوقعوا أنفسهم فيها. وقد تكوّن النصّ السّردي لهذه الرواية من مقاطع سردية هي:

1. ما قبل حدوث المعجزة في القرية.
2. حدوث المعجزة بإحاطة ماء البحر القرية الجبلية.
3. انكشاف الأسباب المختلفة لوقوعها.
4. تغير الأحوال بعد حدوث المعجزة.
5. محاولة الخروج من الظرف الجديد.

النفاذ إلى العالم الفعلي النصّي :

ويقصد بالعالم الفعلي النصّي ذاك العالم الذي بنته اللغة، وهو الذي تقطنه الشخصيات؛ فالسرد يؤسس عالماً فعليًا فيه مقومات قد تشبه أو تتعارض مع مقومات عالمنا الفعلي الذي نعيش فيه، ونحن عندما نقرأ السّرد نسافر إلى هذا العالم وننغمر فيه عن طريق جمل وتعبيرات

لغوية مختلفة، تجعلنا نأخذ موقعنا زمانيًا ومكانيًا في العالم الفعليّ النصّي، ونتعرّف العوالم الممكنة للشخصيات.

يتشكّل العالم السّردي في الرواية من فضاءين رئيسين، وهما: فضاء الملائكة الذي يمكن أن نستدلّ عليه من العبارة ((أما آن للكائنات النورانية أن تنفض الغبار عن أجنحتها وتحلّق عاليًا))[10]، وفضاء البشر على الأرض ونستدلّ عليه من أولى الجمل التي تضمّ أعمالًا بـــ ((في ساعة متأخرة من آخر ليالي الأسبوع؛ ليلة الجمعة، لاحظ ملك يهم بمغادرة الأرض أن بقعة ساحلية متناهية في صغرها، ترفرف فوقها أعداد من الملائكة))[11].

يخضع الفضاءان المشكلان للعالم الفعلي النصي في الرواية لقانون عام يحكمهما هو قانون عدم التعارض، وذلك أن كائنات كلّ من الفضاءين تشترك في عالم واحد، وهي مختلفة أنطولوجيًا، فالملائكة تطير، ولا تكلّم الإنسان مباشرة، وتصعد إلى السماء، وتكتب في اللوح المحفوظ، ومكوّنات أجساد الملائكة نورانية بحسب وصف الراوي لها، وعملها المراقبة وتسجيل الأعمال، وهي غير مرئية. وأما البشر فالقانون الأنطولوجي الذي يحكمهم معروف، وهم من طين، يأكلون ويشربون ويفكرون، ويتزاوجون وفق القوانين الأرضية، ومدة حياة كل واحد منهم محدودة، لهم أفكارهم، وهمومهم، ورغباتهم وغرائزهم. والتواصل معدوم بين الفضاءين؛ فالملائكة لا يتدخّلون في أعمال الناس، والناس لا يتدخّلون في أعمال الملائكة، على الرغم من إيمان الملائكة بوجود البشر، وإيمان الشخصيات البشرية في الرواية بوجود الملائكة ما عدا ما يُظهره رشيد من إنكار للغيبيات. وفي كل العالم لا تتغير الطبيعة الأنطولوجية لساكني الفضاءين، باستثناء اعتقادات بعض الشخصيات بالعين المسحورة، وحديث شخصية طه الوادي عن رؤية والده لحورية ولمسه إياها، واختلاف الناس بين مصدّق ومكذّب للحدث برمّته.

وبالتالي يمكن القول إن العالم الفعلي النصّي في الرواية هو عالم هجين، لأنه غير متجانس؛ أي له نوعان من الكائنات المختلفة أنطولوجيا؛ أحدها: نور، والآخر: طين، وهو ممكن لأن شرط الإمكان موجود، ولأن قانون الفيزياء لا يزال ساريًا على شخصيات العالم وأحداثه. وإذا ما أردنا البحث عن العلاقة بين هذا العالم وعالمنا الفعلي من حيث درجة الإمكان فإننا نجد العالم الفعلي النصي لهسيس الملائكة ليس بمستحيل، وإنما هو عالم ممكن من عالمنا الفعلي لأنه يحترم القوانين المنطقية، وبما أنه كذلك فقد كانت للشخصيات فيه عوالمها الممكنة التي تسعى إلى تحقيقها.

من العالم الفعلي النصي إلى العوالم الممكنة:

مثلما ورد أعلاه أنّ العوالم الممكنة المحيطة بالعالم الفعلي النصي هي من صنع عقول شخصياته، فهي تحلم وترغب وتتمنى وتتصارع مع واقعها من أجل تحقيق ما ترى أنّه ممكن منطقيًا وإن بدا مستحيلا ظاهريًا. وفي العالم السردي لرواية هسيس الملائكة تسعى كلّ شخصية في الفضاءين إلى تحقيق عالمها الممكن وجعله عالمًا فعليًا؛ ففي فضاء الملائكة يبني الملائكة عالمهم الممكن القائم على فعل التقييم وفعل المعرفة. فالتقييم يظهر عندما يراقب فالملائكة البشر في قرية عين جورية: ((لم يعد في عالم الإنس ما يثير فضول أيّ مَلَك، عالم العجائب على الأرض انتهى منذ عهد طويل، بدأ زمن النظام، زمن الأعراف والتقاليد، لا طوفان يغرق الأرض فتنجو سفينة، ولا كائنات عجيبة تأكل الأخضر واليابس، لا يأجوج ومأجوج، ... إلخ))[12]، فهم يحكمون على عالم البشر بأنّه غير جيد بسبب الرتابة وعدم حدوث معجزات منذ عهد طويل والجيد الذي يرغبون فيه هو عودة المعجزات. وأمّا جهة المعرفة فتظهر بعد وقوع المعجزة، ((قال أحد الملائكة: ابن آدم لم يعتد على المعجزات .. عهد طويل يفصله عن آخر معجزة عرفها، كيف سيتعامل مع حدث خارق كهذا؟ وهوالذي اعتاد النظام؟ كيف يفهم المتغير من ألِف الثابت؟ ... أنهى الملك كلامه وانضم إلى الملائكة الصامتين الذين يراقبون عين جورية))[13]، فهم يجهلون ما سيحدث، وينتظرون الوصول إلى معرفته، وبعد ذلك ترسيخ الاعتقاد بالحكمة من وراء ما حدث.

واللافت في هذا العالم الممكن أنّ الصراع خافت؛ فالملائكة ليسوا مدفوعين إلّا من الرّغبة في المعرفة، بمعنى أنّ الذي يواجههم هو الجهل بما ستؤول إليه الأمور، وهو من علم الغيب، والسبيل الوحيدة للوصول إلى المعرفة هي الانتظار إلى حين الكشف عن ردّ الفعل تجاه ما جرى، يضاف إلى ذلك أن الملائكة ملتزمون بقوانين العالم الفعلي النصّي، وليست لديهم الرغبة إلى تغيير هذه القوانين، وهم كما يظهرون في العالم متّصفون بصفة الطاعة للأوامر الإلهية، والانتظام ضمن المهمّات الدقيقة التي أوكلت لكلّ واحد منهم.

أمّا العوالم الممكنة للشخصيات البشرية التي سكنت في قرية عين جورية فهي متعدّدة بعدد الشخصيات غير أنّها غير مختلفة، فجميع الشخصيات ترغب في تغيير الواقع بحكم أنها رافضة له، وإن كان لكلّ شخصية من الشّخصيات أسبابها الوجيهة للرّفض. فالبطل صلاح كان والدُه قبل أن يموت جنديًا في الجيش ، وكان مستمتعًا بانتسابه إلى المؤسسة العسكرية؛ لأنها تعني له الشّرف والوطن والتّضحية والفداء، وكم تمنّى أن يموت شهيدًا، ولكنّ أمنيتَه لم تتحقّق، وقد زرع

حبّ الجيش المدافع عن الوطن في قلب ابنه صلاح، وعندما التحق صلاح بالخدمة العسكرية الإلزامية رأى صورة أخرى للجيش مخالفة تمامًا للذي حدثه عنه والده؛ فقد أصبح الجيش مؤسسة فاسدة تمامًا، وطائفية إلى أبعد الحدود، ومكانًا لإذلال الملتحقين به من المجندين والضباط من غير طائفة الرئيس، وهذا ما جعله يقيّم هذا العالم ويقف ضدّه، فرغب في الخروج من واقعه، ولكنّه عجز عن تحقيق ذلك بنفسه؛ فبقي عالمه الممكن معلّقًا، ولم يتحقّق، ولذلك دعا بدعوته التي تمنّى فيها أن تحدث معجزة تحقق له عالمه الممكن، وهو الخروج من الخدمة الإلزامية.

وطه الوادي المشغول بزوجته الحزينة على فراق ولدها تمام الذي هاجر إلى أمريكا ثم كندا ولم يعد، وقد حاول طه أن يخرجها من هذا الحزن مرارًا وتكرارًا، ولكنه عجز أيضًا عن تحقيق عالمه الممكن الذي يرغب فيه، فلجأ إلى الدعاء أخيرًا بأن تحدث معجزة تغير الواقع فتنسى زوجته حزنها وتعود إلى الحياة الطبيعية في عالم ممكن جديد.

وأسعد طلب معجزة تشغل الناس عن لسان ابنه السّليط الذي يؤذي بكلماته كلّ من يسمعها، وقد حاول مرارًا أن يسكته بالنصح مرة وبالتعنيف مرة أخرى، ولكنه لم يتوصّل إلى حلّ لهذه المشكلة المعضلة، وعجز عن التصرّف حيالها، فلم يتحقق عالمه الممكن، ولذلك دعا أن تحدث المعجزة فاستجاب الله له، وحدث ما أراد، وغمرت المياه ما حول القرية، وقطعت اتصالها باليابسة، مما قربه إلى عالمه الممكن المنشود.

وتتشابه شخصية الشيخ يوسف القادم من حلب الذي أصبح إمامًا في القرية مع الشخصيات الأخرى، فهو أيضًا اعتقد أنّه السبب فيما جرى[14]، فقد هرب من حلب وأراد أن ينسى ما قاساه فيها، ولكن مدينته عششت في عقله، ولما عجز عن نسيانها وتحقيق عالمه الممكن بعيدًا عن ألم تذكرها، دعا الله أن يحدث أمر كبير يُجبره على النسيان، ويحقق له مراده، فظنّ أن دعاءه سبب المعجزة التي حدثت، وأنّ الله قد استجابَ دعوتَه. وبالتالي فإن الجهة التي يخضع لقوانينها هنا هي الجهة القيمية، لأنه يحكم على واقعه بأنه سيئ (تواصل ذكرى حلب في عقله وقلبه)، ويريد أن يتحول إلى الجيد (نسيان معاناته في حلب والخروج من أسر مواصلة ذكراها جلْده بسياطها).

ولكن شخصية الأستاذ رشيد تخضع لمتغير الجهة الإلزامية؛ فهو يخترق قانون سكان القرية في أمرين أساسيين؛ الأول: الإيمان؛ فهو لا يؤمن بما يؤمن به أهل القرية من وجود إله خلق الكون وأرسل الرسل ... إلخ ... ، والثاني: اختراقه للقانون الاجتماعي والديني الذي ينظم ارتباط الرجل بالمرأة؛ فهو يغوي النساء، ويعاشرهن من دون زواج شرعيّ، وبالتالي صارت

هذه الشخصية تنتهك المحظور، وصارت الجهة الإلزامية تحركها؛ فمن حيث الإيمان فالملزم به هو الإيمان بالله والمحظور هو الإلحاد، ، ومن حيث القانون الاجتماعي؛ فالمحظور هو الارتباط غير الشرعي، والمسموح به هو الزواج ومقدماته، والملزم به عدم الارتباط من غير عقد شرعي، وبالتالي فشخصيته استطاعت تحقيق عالمها الممكن عن طريق اختراق قوانين العالم الفعلي النصي.

وأبو غسان سليط اللسان وهو ابن أسعد عبد الكريم الذي يحاول إسكات ابنه دائماً لأنه يؤذي الآخرين، هو نفسه قد دعا وطلب حدثًا كبيراً يجعل الناس ينسون ذكره السيئ، كما أنه كان يريد لأبيه وابنه غسان من بعده ألا يخجلا منه، لم يكن يريد أن يبقى لعبة في أفواه الناس، وهذا عالمه الممكن الذي سعى إلى تحقيقه، ولكنه عاتب نفسه بعد وقوع المعجزة، إذ ظن أنه هو من تسبّب بها وجلب الآلام لأهل القرية الطيبين، والجهة التي تتحكم به هي القيمية؛ ومتغيراتها هي السيئ، وهو حاله قبل حدوث المعجزة، والجيد وهو ما يرغب في الانتقال إليه، وأما عدم المبالاة فلا يُظهر أبو غسان أفعالا يمكن الحكم عليها أنها أفعال غير مبالية أو عبثية.

ومن الشخصيات المهمة في الرواية شخصية سلمى، وهي فتاة تعرف من نفسها أنها جميلة، وأنها فتّنت قلوب الذكور في القرية وفي بلدة شمسين المجاورة، وحتى في بلدة الخراب المسيحية، تقودها رغبتها الجامحة إلى تمنّي الارتباط بشخص غريب يأتي من البحر لترقص له بقدمين عاريتين في المركب، ولذلك فأفعالها خاضعة إلى الجهة القيمية؛ فالسيئ الذي تحاول التخلص منه هو بقاؤها من غير ارتباط بالشخص الذي تحلم به، والجيد هو ارتباطها به، وأما عدم مبالاتها فتظهر من خلال رفضها للشباب الموجودين في محيطها. وكذلك الجهة الإلزامية؛ فسلمى محظور عليها أن تذهب إلى المدرسة، والإلزام: البقاء في البيت، ويذكر هنا أن سلمى بعد وقوع المعجزة تقلّصت أحلامها لظنّها أن الناجين الوحيدين على الأرض هم الذكور المحيطيون بها في القرية، ولذلك بدأت تتقبّل فكرة الحصول على أي رجل.

وعموما بعد حدوث المعجزة تغيرت البنية الجهية للشّخصيات إذ ظهرت الجهة المعرفية واضحة؛ لأن جميع الشخصيات قد فوجئت بحدوث المعجزة، ولم تعد تعرف ما حالها وما سترسو عليه الأمور، وصار الواقع مجهولًا بالنسبة لها والرغبة هي المعرفة، والاعتقاد هو الإيمان بصدق كون هذه المعجزة من عند الله وبحكمته.

إن صراع الشخصيات مع عالمها الفعلي النصي يمنحها هوية خاصة وملامح بارزة تكتسبها منه، ومن طبيعة علاقاتها فيما بينها من جهة وبينها وبين العالم من جهة أخرى.

هوية الشخصيات:

يمكن تحديد هويّة الشخصيات من أبعاد متعددة وهي: الصفات الجسديّة والنفسيّة والعقليّة، ولبيان هوية الشخصيات في الرواية يمكن أن يقسم الحديث إلى قسمين؛ الأول: الحديث عن الملائكة، والثاني الحديث عن الشّخصيات البشرية، وهذا التقسيم له مسوّغه؛ فالملائكة تختلف انطولوجيًا عن الشخصيّات البشريّة، ولا شك في أنّ هذا الاختلاف يؤسّس اختلافا جوهريًا بين صنفي الشخصيات. إنّ المظهر الخارجي الذي يحدّد هويّة الملائكة هو أنّها نورانيّة، وبما أنّها كذلك فهذا يعني أن لا فرق بين أعضاء مجموعة الملائكة فما يصدق على أحدهم يصدق على البقية، بمعنى أن شخصية الملك شخصية نمطية، وصفات واحدة منها تنطبق على الجميع. وهو ذات الملَك المستقرّ في العقل الجمعي للعرب والمسلمين، مخلوق نوراني، لا يراه الإنسان، وله جناحان، وله وظيفة أوكلها الله إليه، وهي تسجيل أعمال الناس ورفعها إلى اللوح المحفوظ، وربما كانت وظيفته تختص بسلوك محدّد لابن آدم؛ فثمّة ملك موكّل بأدعية الليل، وآخر موكّل بخواطر ابن آدم، وملك موكّل بالرّوح البشرية، ورابع موكّل بضحكات العباد، وثمّة ملك ينضمّ مؤخّرًا إلى الملائكة المكلّفين بقرية عين حورية، وهو يريد أن يعرف ما الذي يجري في المكان، بمعنى أنّه لم يكن على علم بما يجري، وقد عبّر المؤلف عن ذلك بقوله: ((قال ملك انضمّ مؤخّرًا إلى الملائكة التي ترقب ما يجري في عين جورية: ... لم يكن الملك على دراية بأهل الأرض، ظنّ أحد الملائكة المقربين أنّه كان موكلًا بعوالم أخرى، بفضاءات ليس فيها أنثى وذكر، ملك آخر ظنه خلقًا حديثًا من خلق قيوم السموات والأرض، الذي له في كل آن خلق جديد))[15]، والكاتب لم يُسمّ أيًا من الملائكة باسم من الأسماء الواردة في المأثور، فليس في النصّ ميكائيل أو جبريل أو إسرافيل أو غيرهم، بل أطلق لقب الملك على هذا المخلوق، وأضافه إلى وظيفته التي وكّل بها.

إن صفات الملك المعنوية في العالم الممكن للرواية تتجلّى في أنه مخلوق مطيع وله مشاعر؛ فهو يبتسم ويضحك ويتعجّب، وهو أيضًا فضوليّ؛ ((قال الملك الموكّل بأدعية الليل: شيء ما يجري في هذا المكان. لم تكفّ تلك العبارة لينام طائر الفضول الذي استيقظ))[16]، ومما يتعلّق بفضول الملائكة وتفكيرهم الحكاية التي رواها الراوي على لسان ملك قديم جوابًا لملك حديث حول تعجّبه من كون الإنسان مخلوقًا ضعيفًا، وهذه الحكاية عن ملكين كانا موجودين في بداية

الخلق، وقد تساءلا عن حال ابن آدم المخلوق الضعيف الذي لا يصمد أمام الشّهوات، وقالا: لو كنّا مكانه على الأرض لما ضعفا كضعفه حين يواجه الأنثى، ولنالهم (يقصد البشر) نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، قالا ذلك وهما واثقان من قدرتهما على الصمود، فأراد الله اختبارهما، وأسكنهما في الدنيا على هيئة البشر، وكانت بدايتهما جيدة لأنهما لم يختلطا بالناس، وجاءت امرأة فاتنة الجمال في يوم ليل بارد، وطلبت منهما إيواءها، ولما حنّا عليها، دخلت فأغوتهما، وجردتهما من عزمهما على الصمود في وجه الذنب والإغواء، ولكنهما وقعا، فعاقبهما الله بأن خيّرهما بين العذاب في الدنيا أو عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، وهما الآن منفيّان يعذّبان في مكان قَصيّ في الدنيا[17].

تبع هذه القصّة استفسار الملائكة الذين سمعوها عن حقيقة إغواء الملائكة، وهل لهم غريزة تُشبه غريزة ابن آدم، فيجيب أحد الملائكة بأن الملكين حين اختارا حياة ابن آدم وخضعا للاختبار تركا الجبلّة النورانية، ولحقا الجبلّة الطينية، فاستولت عليهما الرغبة والشهوة، فوقعا فيما وقعا فيه. وهنا تدخل مهابةُ الأنثى عقلَ الملك الحديث السائل. ويتعجّب من قوة ابن آدم مع ضعف جبلّته.

أثبت الكاتب الحكاية السابقة ليوحي بانحراف عما رسخ في العقل الجمعي لصورة الملائكة وقدراتهم وأفعالهم، والحديث هنا يدخل في باب الخيال المستمدّ من الإبهام الراسخ حول معرفتنا بالملائكة، وبدوره سيسأل القارئ هل حقًا حدث هذا؟ وهل يمكن للأنثى المخلوق الطيني أن تغوي الملائكة، وهل يمكن أن تزول الجبلّة النورانية عن الملك فيصبح ذا جبلّة طينية؟

لا يتوقف تحديد الهويّة على تلك الصفات الثابتة للشخصيات، فبيان العلاقة بين الشخصيّة والآخر هي كذلك تعدّ أداة لتحديد الهويّة. لأنّ العلاقة مع الآخر ترسم صورة للشخصيّة في أذهان الشخصيات الأخرى، ولا تنفصل الصورة التي في عقول الشخصيات عن الهويّة العامة للشخصيّة. فعلاقة الملائكة بالنّاس كما مرّ في تحديد الجهات الحاكمة هي علاقة من طرف واحد؛ فالملائكة يطّلعون على أعمال البشر ويسجّلونها، ويتدخّلون أحيانًا نادرة في سير الحياة فيُلقون الإلهام إلى أحدهم ويوجّهونه نحو قرار ما، أو يؤيّدون دعوة أحدهم بأن يدعوا الله أن يستجيبها كما جرى مع والد صلاح؛ فهو لم يمت شهيدًا في المعركة، ولكنّه كان يدعو دائمًا: اللهمّ اقبلْني مع الشهداء، ولذلك دعا الله، وأيّد الملائكة دعوته فقالوا: ((اللهم هذا دعاء عبد طيب من عبيدك، فاقبله، وكانت ملائكة تنزل إليه من السّماء بالإجابة: قد استجيب الدّعاء، فلتقرّ عين ابن آدم الدّاعي وملائكتُه الحافظون))[18]، وفيما عدا ذلك لا شيء آخر، في حين أن الشخصيات

الأخرى لا ترى الملائكة ولا تخاطبُها أو تتحدّث عنها إلا في معرض الكلام أو الحوارات الداخلية التي تتعلّق بالإيمان بالغيب؛ فصلاح الذي عصى دعاء والده له ووصيته إليه بأن يتطوّع في الجيش يناجيه في حوار داخلي، وذلك بعد أن عرف فساد المؤسسة العسكرية التي لم يعد يطيق أن ينتسب إليها، فيقول: ((على كلّ حال يبدو أن السماء لم تستجب، لعلك كنت (يقصد أباه) تسرد للملائكة هناك قصّة غضبك، كيف للملائكة ألا تصدق حكواتيًا مثلك، كيف لها ألا تغضب لغضبك، آه كم أنت جميل وأنت تسردالحكايات! لعلّ الملائكة لم ترفع دعائي إلى السماء))[19]، وهذا الاقتباس يؤكّد إيمان غالبية الشخصيات من المسلمين المؤمنين بوجود الملائكة، وحتى دارينا الفتاة المسيحية تؤمن بوجودها أيضًا، ولا يستثنى من الإيمان بها إلا الأستاذ رشيد الذي يبدو في الرواية غير مؤمن، وقد صرّح بذلك، وكشف عن نفسه في نهايات الأحداث، وإن كان التراجع عن عدم الإيمان قد يُلمَح من خلال حواره مع دارينا عندما قال لها: يبدو أنه قد استُجيبت دعوتُك. والأمر ذاته مع الشيخ غزوان؛ فبعدما حدثت المعجزة ورآها بعينيه، شكر الله على استجابته لدعائه، وفي سياق شكره قال: ((وأخيرًا وصل دعائي..! شكرًا يا ربّ، شكرًا يا ملائكة، شكرًا يا سماء، شكرًا يا بحر، شكرًا يا صلاح، ردّ أحد الملائكة الدّمثين، الموكّل بضحكات العباد: عفوًا، لا شكر على واجب، وتناثرت ابتسامات ملائكية عطرت المدى بالغيم والندى))[20].

غير أن الكاتب أورد في معرض تفسيره لإطلاق اسم حورية ثم جورية على عين الماء في القرية حكايات كثيرة، ومنها ما تتناقله البنات من أن جورية كانت فتاة من شمسين القريبة من القرية، وقد أحبت صيادًا غريبًا ألقت به الأمواج على صخور الشاطئ، فأطعمته واحتفظت به بعيدًا عن عيون الآخرين ليكون كنزًا لها ((فنشأ بينها وبينه حبٌّ بريء باركته الملائكة، ورعته أشجار الصفصاف، وشهدت عليه أمواج البحر))[21] ثم ودّعها بعد أن وعدها بالعودة، ولكنه لم يعد، وفي هذا الاقتباس تحتفظ الملائكة بالصورة الشريفة والمكانة العالية في عقل سلمى، كما هي الحال مع باقي سكان القرية.

وهكذا يظهر أن الملائكة جسديًا من نور ولا يمكن للإنسان وصفهم، ونفسيًا هم راضون وقانعون بما كلفهم به الله، وهم يبدون ردود أفعال حول ما يجري على الأرض من أحداث، يبتسمون ويحزنون، وعقليًا هم يفكرون، ولكنّ كلّ تصرفاتهم مقيّدة بأمر الذّات العليّة. وهذا ما يجعلهم في صفّ القوة العليا التي يخضع لها العالم الفعلي والعوالم الممكنة في الرواية، كما

يسجل هنا أن الكاتب في العالم الممكن للملائكة قد جعل فيه تطورات وامتدادات لما هو مركوز في الذاكرة الجمعية كما ورد في الحديث عن الجهة الحاكمة لعالم الملائكة.

وأما ما يخصّ القسم الثاني، وهو الشخصيات البشرية، فقد اختار الكاتب شخصيات روايته بعناية بحيث تعبر عن رؤيته للواقع في البلد الذي وُلد فيه، ولتحديد هوية الشخصيات البشرية لا بدّ أوّلا من إثبات وجودها، وكان ذلك عن طريق اللغة.

ومن أساليب تحديد الشخصيات ذكر صفاتها ومهنها؛ فيوسف له صفة الشيخ، ولصلاح صفة العسكري، ولرشيد صفة أستاذ الفلسفة، ولغزوان صفة المختزة في نهاية الأحداث، وطه الوادي الرجل الضخم الذي ابتعد عن أهل شمسين وسكن عين جورية، والجمل التي هي إثباتات نصية تحيل على هذه الشخصيات بعينها، ولا مجال للحديث بالتفصيل عن كل شخصية، وقد اختار البحث شخصية صلاح لعرض هويتها بالتفصيل جسديًا وعقليًا ونفسيًا وعرفانيًا.

ينتمي صلاح إلى أسرة متدينة فأبوه يحدّثه كيف كان يغامر ويصلّي في الثكنة العسكرية عندما كان في الجيش؛ ((كان أبو صلاح الذي مات منذ سنوات، دائمًا ما يحدّث ابنه صلاحًا، بفخر، عن التزامه بالصلاة في الجيش، حتى في عز أزمة الإخوان المسلمين))[22]، والملائكة في الحوار الذي وضعه الكاتب على ألسنتهم يرون أبا صلاح جنديًا من جنود الله، وجنود الله لا يعرفهم إلا الله ومن أراد من خلقه.

يبدو صلاح في ريعان الشباب، وهو في سن الخدمة العسكرية، وقد أنهى الدورة التدريبية في حلب، يمشي كلّ صباح مدّة عشرين دقيقة ليدرك الباص الذي ينقل العساكر، وأحيانًا تطول المدّة لأنه يستغرق الوقت في التفكير وهو يقطع المسافة، كانت مشيته متثاقلة يوم حدثت المعجزة، ((وهو شديد الهدوء كثير التأمّل))[23]، وهو يرتدي الملابس العسكرية المموّهة والحذاء العسكري الأسود، ويرى أنّه مقيّد بهما. وفي أثناء اجتماع أهل القرية لإيجاد حلّ للظرف الذي وقعوا فيه، إذ انقطعوا عن العالم، وباتوا فيما يشبه الجزيرة في وسط البحر، تظهر لنا شخصية صلاح قويّ الصّوت في مجابهة الأستاذ رشيد الذي دخل إلى المسجد مقتحمًا جمع الرجال، ولذلك رفض صلاح وجوده، وقال بصوت عالٍ:((ليتك تخرج من المصلّى وتريحنا من وجودك))[24].

وعلى الصّعيد النفسي هو متضايق نفسيًا، ويشعر بالغضب لأنّ أجمل أيامه تتسرّب من بين أصابعه في العسكرية الفاسدة[25]، وهو يعيش تحت ضغط رهيب، ضغط عصيانه لوصية أبيه

وذلك بسبب ما يتعرّض له من الذلّ في الجيش؛ فالضبّاط يذلّونه، ويشتمون أمّه، وهو يشعر أنّ والده غير راض عنه، ولكنه يريد أن يكون حرًا، وأن يعيش بحرية في البحر يلتقط رزقه منه كما يفعل الصيادون. وهو محبّ لأخيه عبد الرحمن المريض ومتعلّق به تعلّقًا كبيرًا، فهو يحميه، وحين سخر منه أبو غسان نزل ذلك عليه كالمطرقة على رأسه[26]، لأنّ كل أهل شمسين يعرفون العلاقة المميزة التي تجمعه بأخيه. وفي مشهد آخر يجلس قرب أمه التي تعتني بأخيه، وعيناه على حضنها، كأنه يريد أن يجلس فيه، وشيء ما يمنعه، لا يفارق أمّه، ولا يعرف سببًا لهذا التغيير[27]. وحين يوجّه سؤالًا مُحرجًا إلى الشيخ يوسف يشعر أنّه أخطأ في ذلك، ويحسّ بأنه ما كان يجب أن يسأله، وحين يتحدّث الشيخ يوسف عن حلب يسأله صلاح سؤالًا يدلّ على أنه عميق التفكير في المسائل الوطنية والمعاناة التي تعيشها المدن، فيقول: ((ألا تظنّ أن مدينة حلب خائفة؟)) وحين يسأله الشيخ: من ماذا؟ يقول: ((لعلها خائفة على نفسها، أو ربما على أهلها، خائفة من الذوبان، خائفة من الغريب أن يغير قوانينها))[28]، ويردف أن عين الغريب ترى أوسع من عين القريب. ويبدو عليه التوافق التامّ مع الشيخ يوسف، فحين أراد الشيخ أن يرقص غنّى له صلاح[29].

وعلى الصعيد العقلي يظهر صلاح وهو يحاجج ويناقش في تفسير أمر المعجزة؛ فهو يسأل: ((كيف انفصلنا، ولماذا انفصلنا، هل سمع أحد صوتًا غريبا في الليل؟))[30]، وفي ذات الموضوع يُظهر خبرته التي حصل عليها من خدمته الإلزامية، فيقول: ((تعلمنا في العسكرية أن الضائع في مثل هذه الحالات لا بدّ أن يستخدم الحجارة إشارات تدلّ عليه، من الأفضل أن نستخدم حجارة كبيرة، ونرتبها على الأرض على شكل كلمة (نجدة) بحيث تراها أية طائرة تعبر من فوقنا، ويمكن أن نستخدم النار للإشارة إلى مكاننا)) ، وكذلك طلب عدم الإسراف في استعمال ماء العين خشية أن تجفّ[31]، ويبدو في موضوع آخر شغوفًا بالمعرفة عندما يسأل عن الذي يصنع المدن، وهل في إمكان من يصنع مدينة على نحو ما أن يغير ما صنع[32].

ولا يخفي صلاح عن الشيخ يوسف أسباب كرهه للجيش، لأن الإنسان فيه يصبح ذليلًا من الداخل، حين يتعرض لشتيمة أمّه وأخته من ضابط ما، و ينسى طموحه وخصوصيته وربّه، ولا يتذكّر إلا سيارة الضابط وبيته والهدية التي يحضرها له حتى يخفّف عنه الأذى، ويتنبه إلى أن كرهه للجيش لا يعني كره الوطن، فيحترز ويقول: ((أنا أحب بلدي، أراها أجمل بلد في العالم، وأحب أن أخدمها، أخدم البلد لا أخدم ضباط البلد))[33]، ويقارن بين العسكرية على زمن والده والعسكرية على زمنه، وكيف تحوّل الجيش من مؤسسة لكلّ السوريين إلى مؤسسة لطائفة

تسكن في الساحل. طامعة بالمال والنفوذ. وبعد حوار يصرّح صلاح بأنه لا يحبّ العسكرية، وإنما يحبّ البحر وحياة البحّارين والصيّادين الذين يشبّههم بالفرسان، لهم أعرافهم وأخلاق الفرسان النبلاء.

وعلى الجانب العرفاني يبدو لنا صلاح متديّنًا لأنّه دعا أن تحدثَ معجزة تغيّر الحال وتمنعه من مواصلة العسكرية، ويبدو أنّ دعاءه كان صميميًا وفيه حرقة، يدلّنا على ذلك أنه كاد يطير من الفرح لما وقعت المعجزة، ونظر إلى السماء وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وقال: ((أيعقل أن يكون هذا الدعاء؟ هل استجابت السماء))[34]، فباغتته قشعريرة ، ووقف شعر جسده ، وسيطر على حواسه إحساس بالحبور فكاد يطير، ((ومشاعر إيمانية فياضة تملأ قلبه، ويصيح: إنه الدعاء، أقسم إنه الدعاء))[35]. وهذا الدّعاء وهذه الحال تنال نصيبًا من ثناء الملائكة عليها، وكذلك من روح أبيه المرفرفة في السماء؛ إذ يسمع الملائكة صوت الشكر؛ فالله استجاب لوالد صلاح حيًا بأن قبله من الشهداء على الرغم من أنه لم يمت في معركة، وقبِل دعاءَه ميتًا لولده فاستجاب له في الحالين.

يدرك صلاح حاله تمامًا؛ فهو غالبًا ما يحاور نفسه ويقيّم موقفه ورغباته ويحدد وجهته، فهو يرى نفسه إنسانًا عاصيًا، ويتمنّى في يوم المعجزة قبل أن يشاهد ما حدث أن يعود إلى الخلف، ودّ لو أنّ أحد الملائكة يساعده في التخلّص من عبء الجيش، ولكنّه في قرارة نفسه يقول: ((كيف لعاص أن يأمل بمساعدة ملك، كيف لمثلي أن تصل كلماته إلى السماء))[36]، وظنّ أن روح والده الميت تتأمّله، وهي معلّقة به، إنّها روح الأب المشتاق ولهفته تراقب صلاحًا من السماء، ثم يقول صاحبها:((ليته يعلم ما ينتظره هنا، ربّنا أفرغ عليه صبرًا))[37]. والحال أيضًا، أن الروح البشرية تتابع صلاحًا بشغف وحنوّ، وقطرات السماح الندية تنتشر منها وتلتحق بغيمة ماطرة، وهي تردّد: ((رباه ليته يعلم)) و((ما يزال ملكان يواكبان صلاحًا عن اليمين وعن الشمال وهما يتمتمان: خلق الإنسان عجولًا))[38]، وهما يقرّران هنا صفة العجلة عند صلاح.

ويتحدّث الراوي عن مشاعر صلاح التي يخفيها في صدره بعد ظهور المعجزة، ويرى أنه يخفي فرحًا طفوليًا عندما شاهد بعينيه سطوة الطبيعة، وكيف أن قوانين العالم تتغير، فيتغير معها العالم نفسه، وفي هذه الحال سيسقط القانون الحاكم، فلن يسأله الضباط لم غاب، ولن يعاقبه أحد على غيابه.

أما صورة صلاح لدى الشخصيات الأخرى في عالمه فتظهر فيما ظنّه غزوان به عندما أخبره بحدوث أمر عجيب، فلم يصدّق. لقد ظنّ غزوان أنّ صلاحًا يهزأ منه، وسخريته منه هي

امتداد لسخرية أهل شمسين منه، وأن يظن به هذا الظن فهذا يعني أن صلاحًا الشاب كانت له مكانة عند أهل القرية، فغزوان يساويه بهم، ويرى أنه قد تجرأ وسخر منه، وهذا يعني أيضًا أنّ مكانة غزوان في نفسه أعلى من مكانة صلاح وباقي أهل القرية.

وكذلك تتوضّح هوية شخصية صلاح أكثر حين يصادف سلمى عند عين الماء؛ وقد قدّم الملائكة فهمهم لهذا اللقاء، وذلك حين أورد الراوي على لسانهم كيف أنّ دقات قلب صلاح قد تغيّر نظامها، ومستوى ضخّ الدم في عروقه قد تغيّر أيضًا، وما ذلك إلا لأنّ جميلة الجميلات في شمسين كلّه قد ظهرت أمامه. ويكمل الراوي وصف المشهد، وكيف أنه تسمّر مكانه عندما رآها تغرف الماء وتمسح به وجهها ورقبتها[39]، ويظهر صلاح عارفًا لغة عيون الأنثى؛ فقد قرأ في عيني سلمى الشكّ فيه، ورغبتها في أن يتكلّم معها، ولكنه يصمت، وتوقعت أن يراوغ ويبادر إلى مساعدتها في حمل جرة الماء، ولكنه لأمرٍ ما لم يفعل، وعل الرغم من استطراد الراوي في الحديث عن جمالها وتسابق الذكور إلى خطبة ودّها، لم يبادر صلاح إلى مساعدتها، ليس لأنه غير شهم، بل لأنه لمح في عينيها الشكّ والتكذيب، وهذا لم يعجبه، ولذلك ردّد : ((أنا لست كغيري من الشباب))[40]، ولو رأى في عينيها الامتنان أو الشكر أو الاستغراب لساعدها، ولكن أن يرى الشكّ والتكذيب فهذا ما لم تتقبّله نفسه، ومن خلال تفكيره الذي نقله الراوي وباح بشيء منه يظهر أنه بات يعرف طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ويفهم أن جمال وجهها يحول دون أن ينالها أحد بأذى، ويردّد: ((حتى البحر لا يجرؤ على إيذاء جسد كجسد سلمى، آه من الجمال ما أعذبه، وما أشدّ قوته، كذّاب ذاك الذي جعل القوة للرجال، القوة للجمال، للجمال فقط))[41]، وبهذا الشكل نراه من الجهة العرفانيّة مدركًا للجمال وقوة تأثيره، وللجنس الآخر والمعاني التي تصدر عنه.

وفي حوار شهده صلاح في نهاية الرواية يجتمع أهل القرية في المصلّى، ويقتحم اجتماعهم الأستاذ رشيد، فيجابهه صلاح، ويلقي رشيد بأسئلته وآرائه النابعة من فلسفته غير الإيمانية، ويردّ عليه الشيخ يوسف، وحين يبقى صلاح مع الشيخ يبدأ بالاستفسار عن كلام رشيد، فيعرف الشيخ أن شيئا من الشكّ في حكمة ما جرى قد تسرّب إلى عقل صلاح، فراح يبيّن له الأمر.

وهكذا تبدو شخصية صلاح ناضجة جسديًا وعقليًا ونفسيًا ولها مبادئها العرفانية المدركة للعالم من حولها، وقد تشكلت هوية الشخصية من خلال السرد؛ فكلّ جملة أو حديث من صلاح أو عنه كانت تسهم في بناء هويته في عالمه القصصي.

الراوي وبناء العالم القصصيّ

اعتمد الكاتب في بناء العالم القصصي على تقنية الراوي، فالراوي هو من حدّد مُكوّنات العالم الفعلي النصي؛ فوصف المكان والزمان، ووصف ما قامت به الشخصيات من أعمال، وقد كان حاضرًا في كلّ الأمكنة التي جرت فيها أحداث عين جورية، وليس في الأرض فقط، بل كان أيضا حاضرًا مع الملائكة الذين يراقبون ما يجري ويعلّقون عليه، وكان سريع التنقّل بين الفضاءين، ومثلما حدّد الراوي العالمَ الفعليّ النصّي فهو كذلك بيّن للمَرويّ له العوالمَ الممكنة للشخصيات.

لقد أدرك هذا الراوي الذي يكتفي بوصف العوالم الممكنة لشخصياته تفاصيل هذه العوالم، وكان حريصًا أن يجعل الـمَرويّ له يكوّن عنه صورة العارف بما يجري، وكأنه يمسك بآلة تصوير تكشف المكان تمامًا، وتملك معلومات عن تاريخ كلّ شخصية وارتباطها بسياق الزمن السّردي، وهو يختار من الأحداث والحوارات التي تجري بين الشّخصيات ما يرتبط بخطّ الحكاية الرئيس أوّلًا (طلب المعجزة، وحدوثها، ثم الندم وطلب الخروج من تبعاتها)، ولكنّه – ثانيًا– يتوسّع في اختياراته لينقل لنا عن طريق الاستطراد والاسترجاع تاريخ الشخصيات والظروف التي لابست نشأتها حتى تصبح ما هي عليه في أثناء الأحداث الرئيسة في الحكاية.

كانت للراوي زاوية رؤية كاشفة لكل ما يجري أمامه، وهو عارف بالشخصيات ويعرف عنها أكثر مما تعرف هي في أحيان كثيرة، ويستطيع النفاذ إلى كلّ الأمكنة ووصف الأحداث التي تجري، وله سلطة واضحة في إعطاء التفسيرات، وهو يدرك الرغبات لدى الجميع، وهو حريص على منح الـمَرويّ له صورة متكاملة عن كلّ شخصية؛ غير أنّه أغرق أكثر في التفاصيل الخاصة بشخصية رشيد فذكر كلّ شيء عن نشأته ورحلاته.

ومن التقنيات التي اتّبعها الراوي أنّه استغرق مساحة زمنية في الحديث عمّا قبل حدوث المعجزة، وبيان موقف كلّ شخصية منها، وكشف أسباب تمنّيه الجميع لوقوع التغيير، بالتّسلسل، فلم يترك أي شخصية من دون أن يكشف عن تفاعلها مع حاجة التغيير، وتفاعلها مع حدوث التغيير، ورغبتها في النجاة من عقابيل التغيير، وبحثها عن حلّ للمشكلة الجديدة التي نجمت عن التغيير، وهي الانقطاع عن العالم الخارجي والخوف من نقص الماء والغذاء الذي حدث بسبب ماء البحر الذي أحاط بالقرية من كلّ جانب.

وبالرغم من أنّ الراوي هو المخوّل بالسرد غير أنّه كان يفسح للشخصيات مساحة للقول والعرض. فتسهم الشخصيات هي كذلك في بناء العالم القصصي من خلال إبراز ما تدركه من عالمها وما تفعله فيه. غير أن المقارنة بين لغة الراوي ولغة شخصياته تظهر أنهما من نمط

واحد؛ فهما على ذات الدرجة من الفصاحة واستخدام الأساليب ذاتها، وإن حاولت بعض الشخصيات أن تحدث مفارقة من تعمدها استخدام لغة دارجة، وانطباعات صوتية لم يقلل ذلك من نسبة التشابه بين اللغتين، والمتفحّص يستطيع أن يصل إلى هذا الحكم، وكذلك يمكن التمييز بين لغة الشخصيات الملائكية ولغة الشخصيات الأرضية، لكن الفروق محدودة، وبالتالي فقد كان في الرواية مؤلّف ضمنيّ هو ذاته صوت المؤلف الذي يسيّر شخصياته كما خطط لها، وبذلك لا نجد في الرواية العالم الحكائي الحرّ الذي تنعتق فيه الشخصيات من الرؤية التي يريدها المؤلّف.

وممّا يؤيد ذلك أن الشخصيات جميعها قد وقعت في ذات الفعل وكرّرت نفس الأسلوب في طلب التغيير وهو الدّعاء، ولأنّها دعت جميعها في ذات الزمان استجاب الله لدعائها وحدث التغيير، وتكرار الفعل وإظهار الأمر كأنه منوال يوحي بأن هناك قصدية في السّرد.

خاتمة:

يظهر بعد هذا التحليل لرواية هسيس الملائكة أن العوالم الممكنة فيها عوالم ثرية، وأن الشخصيات التي سكنت تلك العوالم كانت لها هويات خاصة بها اكتسبتها من تفاعلها مع عوالمها، وقد لاح بوضوح الصراع بين هذه الشخصيات وواقعها، فبدت رغباتها في التخلص من هذا الواقع، وتمنت واقعاً أفضل، ولكنها كانت عاجزة عن تحقيق التغيير بأنفسها، ولجأت إلى الدعاء جميعها، وسعت إلى استثمار معجزة حدثت فغيرت معطيات الواقع، ونشأ عنها واقع جديد. وتبين لنا أن الجهة الضابطة للعالم الفعلي النصّي هي متعددة، فثمة جهة قيمية، وأخرى معرفية، وثالثة إلزامية، وهذا يدلّ على تنوع هذا العالم وشخصياته.

وما يخصّ هوية الشخصيات فقد اتضح أن شخصيات الملائكة نمطية في أفعالها وتركيبتها ورغباتها وهي مسيرة، وهي تتطابق مع الخلفية المعرفية في العقل الجمعي المسلم، كما ظهر أن الشّخصيات البشرية على الرغم من أن ظاهرها مختلف من حيث الرغبات والأمنيات، لكنها بعد التعمق في حالها ظهر أنها متشابهة في فعلها وهو اللجوء إلى الدعاء والاعتماد على المعجزة الخارجية لتغيير الواقع.

ونستنتج كذلك أن نظرية العوالم الممكنة تثري تحليل السّرد، فهي تكشف بدقة عن ماهية العالم الفعلي النصي وشخصياته، وتوضّح بنية العوالم الممكنة المنبثقة عنه، وتحدّد البنية الجهية لهذه العوالم، كما تساعد في التعرف إلى هوية الشخصيات والعلاقات الناشئة بينها ورغباتها

وطموحاتها، وتوضّح التقنيات التي لجأ إليها المؤلف في بناء العوالم الممكنة، كتقنية الراوي ، وخصائص لغته مقارنه بخصائص لغة الشخصيات، ولم يتسع المجال للحديث عن تأويل العوالم الممكنة إلا من خلال آراء ذكرت عرضًا، كالقصدية في السّرد التي بدت واضحة من خلال تشابه الرغبات وطريقة السّعي إلى تحقيقها.

Abstract:

Hasisu al-malaekah in the light of the theory of the possible worlds - A critical study

Susurration of Angels is rich in possible worlds, and the characters who inhabited those worlds had their own identities that they gained from their interaction with their worlds. The conflict between these characters and their reality is a field that tempts analysis, study and interpretation; how they desired to get rid of this reality? Did they wish for a better reality? How unable were they to bring about change on their own? And why did they all resort to prayers and seek to exploit a miracle that had occurred, changing the facts of reality, and creating a new reality? Was the actual-world script editing entity multiple?

With regard to the identity of the characters, it became clear that the characters of the angels are typical in their actions, combination and desires and that they are controlled, and they correspond to the cognitive background in the Muslim collective mind. It also turned out that the human characters, although their appearance is different in terms of desires and wishes, after going deeply into their state that they are similar in their actions, which is to resort to prayer and rely on the external miracle to change reality.

It has been clear to us that the theory of possible worlds enriches the analysis of narrative, reveals precisely what the actual world of the script and its characters is, explains the structure of the possible worlds emerging from it, defines the physical structure of these worlds, helps to identify the characters and the relationships created between them and their desires and ambitions. It also explains the techniques used by the author in building the possible worlds, such as the technique of the narrator, and the

characteristics of his language in comparison with the language of the characters. The interpretation of the possible worlds was only mentioned through opinions said incidentally, such as the intention of the narrative, which was evident through the similarity of desires and the way they were sought to be achieved.

المصادر والمراجع:

1. Margolin (Uri), ***Character , in the cambridge companion to narrative***, By David Herman, Cambridge University Press,2007.
2. Dolezel (Lubomir), ***Heterocosmica, fiction and possible***. Johns Hopkins University Press, 1998.
3. Ryan (Marie-Laure): ***Possible Worlds, Artificial Intelligence, and Narrative Theory***, USA, Indiana University Press Bloomington, IN, 1991.
4. المسعوديّ (عبد العزيز)، المعاني الجهيّة والمظهريّة، بحث لسانيّ في المقولة الدلاليّة، سوسة ، تونس، جامعة سوسة، كلّيّة الآداب العلوم والإنسانيّة بسوسة، 2013.
5. – الخبو (محمد بن محمد) ، مدخل "تخييل"، معجم السرديّات ، إعداد مجموعة من الباحثين، تونس، دار محمّد علي للنشر، 2010،
6. عبد الرحمن، طه، تجديد النظر في إشكال السببية عند الغزالي ونظرية العوالم الممكنة، مجلة المناظرة، العدد1، يونيو، 1989، ص28،
7. عقيلة، نوارة. الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، دراسة في ضوء نظرية العوالم الممكنة. 1. صفاقس: مكتبة علاء الدين, 2018.
8. عقيلة، نوارة: "نظرية العوالم الممكنة منهجًا تحليليًّا." ضمن فعالية ندوة الواجب والممكن. صفاقس: جامعة صفاقس – كلية الآداب, 7. مارس . 2019
9. لؤي خليل. همسيس الملائكة،2014، الدار العربية ناشرون، ط1،بيروت، 2014.

---

1 لمزيد التوضيح عن نظرية العوالم الممكنة يمكن الاطلاع على ما كتبه طه عبد الحمن، تجديد النظر في إشكال السببية عند الغزالي ونظرية العوالم الممكنة، مجلة المناظرة، العدد1، يونيو، 1989، ص28، وكذلك على ما كتبته Ryan في كتابها: *Possible worlds, Artificial Intelliggence, and Narrative Theory*,Indiana University Press Bloomington.IN.USA,1992,p113 ، وعقيلة، نوارة، الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، صفاقس، تونس، ط1، 2018، ص2

2 عقيلة، نوارة، الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، ص2

3 (Marie-Laure)Ryan. ***Possible Worlds, Artificial Intelligence, and Narrative Theory***,p16 1991، وعقيلة، نوارة، الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، ص47.

4 عقيلة، نوارة، الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، ص2.

5Saul Kripke, "***Semantical Considerations on Modal Logic***" Acta Philosophica Fennica ,1963, 16: 83–94. In Sainsbury,fiction and fictionalism,2010, p 69.

6 – الخبو (محمد بن محمد) ، مدخل "تخييل"، معجم السرديّات ، إعداد مجموعة من الباحثين، تونس، دار محمّد علي للنشر، 2010، ص 76

7 عقيلة، نوارة، الشخصية القصصية للأنبياء بين النص القرآني ونصوص قصص الأنبياء، ص3.

8 -- Dolezel, ***fiction and possible worlds*** .op. cit,p 120 .

[9] خليل. لؤي، هسيس الملائكة. الدار العربيّة ناشرون، بيروت ، ط1، 2014، ص2

[10] خليل. لؤي، هسيس الملائكة. 2014، ص9.

[11] خليل. لؤي، هسيس الملائكة. 2014، ص 12.

[12] خليل. لؤي، هسيس الملائكة. 2014، ص11.

[13] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص68.

[14] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 186.

[15] خليل، لؤي، هسيس الملائكة،2014، ص 55-56.

[16] خليل، لؤي، هسيس الملائكة،2014، ص 12.

[17] خليل، لؤي، هسيس الملائكة،2014، ص 58.

[18] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 35.

[19] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 37.

[20] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 46.

[21] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 75.

[22] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 25.

[23] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 33.

[24] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 184.

[25] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 34.

[26] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 106.

[27] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014،ص 131.

[28] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014،ص 137.

[29] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014،ص 144.

[30] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014،ص 91.

[31] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 123.

[32] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 138.

[33] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 140.

[34] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 39.

[35] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 39.

[36] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 38.

[37] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 34.

[38] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 37.

[39] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 48.

[40] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 54.

[41] خليل، لؤي، هسيس الملائكة، 2014، ص 55.